إلى شقيق إبراهيم

أهكذا تمضي . . . ؟

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

تساءل البلبل عن صنوه
في الروض ، فاستبكى عيون الزهور
وغصّ مما هاج من شجوه بزفرة بين التراقي تمور
من صرّف الشاعر عن شدوه ولفه بالصمت صمت القبور
وما الذي كدر من صفوه حتى جفا الوكر وعاف الطيور

ألم يكن والروض خصب مريع متعما بالعيشة الراضيه
بين سنى يطفو وعطر يشيع وبهجة غامرة ضاقيه
يصبي الفراشات بشدو بديع تظل من أنغامه الشاجيه
ترف كالزهر حباه الربيع أجنحة موشية حاليه

وطاف بالروض حزيناً لهيف يبحث عن شاعره في الشجر
لمسله في ظل دوح وريف يرتشف الطل ويرعى الزهر
يلف عطفيه وشاح شفيف تنسجه في الليل أيدي القمر
ويبعث اللحن رفيفاً رهيف محبب الوقع ، مُرِنّ الوتر

وحين لم يلق أخاه الحبيب ولم تع الأذن أغاريده
حط على غصن أراك رطيب ومد من عليائه جيده
وأرسل الشدو حنيناً مذيب يهز في الأيك أماليده
وودّع الروض بقلب كئيب إذ لم يجد في الروض غرّيده

أهكذا تمضي مضيّ الحلم طافت سراعاً وتلاشت رؤاه ؟
أهكذا تطويك أيدي العدم في عمر الزهر وفجر الحياه
ألم تكن نجما سما واضطرم يشع في الأفق فيهدي سناه ؟
ألم تكن شعراً على كل فم منسجم اللحن ، حبيباً صداه

أي لحون رعن سمع الزمن بعثتها من خفقات الفؤاد
أودعتها الروح تناجي الوطن فيها فتهتز الربى والوهاد
ثم ترامت صريع الوهن مخضب الجرح ، سليب الضماد
وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استحالت رماد

إذا سجا الليل فقرت عيون وأسعد الساريَ نجم بدا
تلفت القلب وفيه شجون مسائلا عنك ، ولكن سدى
لأذرفن الدمع شعراً حزين مرجع الأنات ، شاجي الصدى
من نور عينيّ ، وخفق الوتين حتى توافيني عوادي الردى !

قرد وحمار

للأستاذ محمود عزت عرفة

كنت أشهد في بعض قرى الصعيد فتى ريفياً يقتاد حماراً أسود قميئاً قد علمه بعض الأضاحيك ولقبه « ظريفاً » . وكان يومئ إليه فيلتبط بالأرض في سكون ، ثم يبدأ يعرض عليه العروض فيقول : تتزوج من جرجا ؟ تتزوج من البلينا ؟ تتزوج من سوهاج ؟ تتزوج من النخيلة ؟ تتزوج من أبو تيج ؟ تتزوج من أسيوط ؟ ... كل هذا والحمار يرفض في إباء ، ويؤكد رفضه بهزات من رأسه حاسمة . فإذا عرض عليه الأمنية النفيسة وقال : تتزوج من مصر ؟ — وثب من رقدته مرحاً خفيفاً وهو يهز رأسه علواً وسفلا علامة القبول !

كنت أعجب بحركات هذا الحمار ، لكن لا أعجب بفكرته — وهو صعيدي — من إيثاره بنات مصر على بنات موطنه الصعيد ... ثم أقول : لا جرم إنه حمار ...

وأخيراً تحقق لديّ صدق حكمي على عقلية هذا الحمار ، إذ قرأت عن قرد حاذق قص حديثه القاضي التنوخي في كتابه « نشوار المحاضرة » رواية عن ابن عباس الذي حكى أنه « رأى في شارع الخلد قرداً معلماً يجتمع الناس عليه فيقول له القراد : تشتهي أن تكون بزازاً ؟ فيقول : نعم ، ويومئ برأسه ، فيقول : تشتهي أن تكون عطاراً ؟ فيقول : نعم — برأسه — فيعدد الصنائع عليه فيومئ برأسه ، فيقول له في آخرها : تشتهي أن تكون وزيراً ؟ فيومئ برأسه « لا » ، ويصيح ويعدو بين يدي القراد فيضحك الناس

كلا الرجلين يمزح في فعله ، ويحاول أن يتفكه ويفكه معه